مالم ينشر في كتاب

نص على نص

يكتبها قاسم حداد

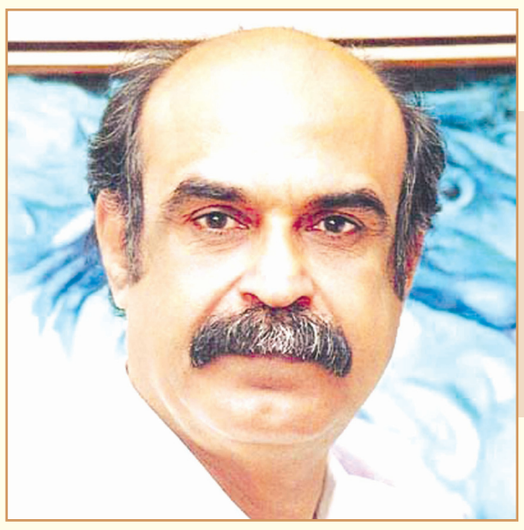

هذا هو الولد البدوي سليمان الفليح يمزج جمال عذابه، بأجمل عذابات اللغة وهي تنتقل على يديه بين العربية الفصحى والعربية الأخرى، حيث «يستنبط» الصورة الجميلة ببسالة الشعر. بدوي يحسن العصف بالقبيلة ويمجد الخروج.

في قصيدة «أغنية الولد البدوي» التي نشرها أخيراً في مجلة «اليمامة» السعودية، يطرح الفليح تجربة طريفة تنطوي على مزج خاص، بين الفصحى والنبط، وربما مثل هذا اختراقاً تعبيرياً يحمل مبرراته الذاتية في تجربة الشاعر نفسه. فالشاعر لم يغادر خروجياته وصعلكته منذ أن طلع علينا بقصائده الأولى، يريد أن يثبت لنا يوماً بعد يوم أن للشعر طاقة يمكن أن تشكل فعل رؤية، لواقع يأخذ من الحضارة خبرة الاستلاب الإنساني ليضيفها إلى خبرة السلب، التي عدها البعض أحد بسالات العرب المؤيدين ببدوية تتعرض للمسخ بلا هوادة. وطاقة الشعر تلك التي لا يتوقف سليمان الفليح عن التشبث بها، هي التي ظلت تحصنه ضد مواهب الاستهلاك ومغريات الفقد الرائجة، متذرعاً بعفويته الأولى. وسوف يخترق الشاعر هنا أداة الشعر النبطية لينكل بالذين ينحازون بها نحو الانحطاط، مضيئاً جوانب الجمال في هذا الفعل : «إئتنا بالربابة

وغَنِّ لنا «يا طويل البقا» ما ينحّي الكآبة»

وعندما يضع «طويل البقا» بين قوسين، سيتيح لنا احتمالات السخرية المريرة في مستويين، أما شكا في طول البقاء هذا، الذي يراود الصعاليك في كل مكان وزمان، أو استهلالاً لديباجة تقليدية، مألوفة، وليست مشروطة هذه المرة بمعطى يشاكلها، ثم يصعقنا ببيتين من النبط مكنوزين بجمال شعري ورؤية إنسانية، ستظل تحدياً له طوال النص بعد ذلك، ولعله كان يعي ما يفعله، كما لو أن هذا التحدي قد تهندس جيداً :

راكب فوق حر يذعره ظله
مثل طير كفخ عن كف قضّابه
ماحلى فزّته والخرج زاه له
والمبارك على متّنه تثنى به»

وليس لنا أن نعرف حدوداً واضحة بين الولد البدوي الشاعر وبين صاحب الربابة الذي يطلق علينا هذه الكلمات الجميلة. إنه هو ذاته الصوت والكلام والربابة معاً. وليس ترفاً انحياز سليمان الفليح منذ بدايته إلى جانب الصعاليك العرب، منذ هناك حتى هنا، ليس ترفاً، لأنه يتعرف على تجاربهم في الحياة والواقع قبل أن يكتشف رؤاهم وطاقتهم الشعرية، لذلك فإننا نفهمه جيداً عندما ينوي السهر معهم حتى الصباح يقتسم معهم التمر والعذاب. فحين يوصد الآخرون أبوابهم، فإن الصعاليك يظلون ناراً مفتوحة على كل عذاب، حتى «هذا الزمان» : «نعاني التشرد والفقر لا بأس فالدهر إن كان صلباً فليس علاج الصلابة إلا الصلابة وسيف يطيل الإقامة في الغمد يؤتي الصدا في جرابه ».

ترى هل أصبحت الكتابة، لدى الصعلوك« المعاصر » هي بديل الفعل لسيف الصعلوك السابق ؟!. ولكن أية كتابة هذه التي يعدنا بها الولد البدوي، وهو يهتاج نحو قافية تغرر به مثل فرس شاردة ؟! لقد تاق الصعلوك إلى سيف غير الكتابة، سيف نام طويلاً في صدأ الغمد. والروح قد تراكم عليها ثلج السنين. لذلك سيسرع الشاعر إلى رفاقه الموزعين على خريطة العذاب. وهو حين يعدد لنا أسماء الماضي فإنه يستحضر تجارب رفاق معاصرين يتجاور معهم في عذاب يتبادل الهدايا ويحسن الانتقال. صعاليك يعرفهم واحداً واحداً، هنا، الآن، وإلا فلا معنى لأن نسمع للمرة التاسعة أو العاشرة ذات الأسماء في قصائد الشاعر نفسه. ولو أن الولد البدوي لم يرصف لنا هذه الأسماء لكنا اكتفينا بالطاقة الإيحائية التي تتسلح بها القصيدة، كمناخ عام، ولكان جسد القصيدة الرهيف قد نجا من «كولاج» كبير كهذا :

«أضئني فإني لمحت بنارك عروة والشنفرى
وتأبط والعنبري وشظاظ وابن الغرابة »

وربما كانت قصيدة قصيرة جميلة مثل هذه ستنجو أيضاً، من الشتات، لو أن الشاعر اكتفى بالروح الغامر، دون اللجوء إلى قائمة باتت حاضرة في تجربته غير مرة. ولو أن الاحتفاء في النص كان مقتصراً في التجربة على هذا المزج الطريف بين النبط وبين الفصحى، لتيسر لأن نتفادى، مع الشاعر، الخطاب المتمثل في تقريرية الأسماء. في جانب آخر سوف نلاحظ تفاوتاً تعبيرياً بين بيتي النبط اللذين افتتح بهما الشاعر النص، وبين بيت النبط الآخر الذي سيدفع به بعد ذلك :

«من خط رباً واضحاً للمعالي
لازم على الشدات تضرب ركابه »

فنبرة الخطاب العالية في هذا البيت، وغياب الصورة الفنية قياساً للبيتين السابقين، سيجعله ضعيفاً، ومعطوفاً «في تقريريته» على قائمة الأسماء تلك، مما ينم عن تفاوت في بنية النص، دون أن يواجه الشاعر ذلك التحدي الذي أشرنا إليه قبل قليل. لكن صعلكة الولد البدوي سوف تغرر بنا دوماً لكي نهيم بهذا العالم الوحشي الذي يحسن سليمان الفليح كشفه لنا «فيما هو يكتشفه، حياة وكتابة». وعندما استوقفتنا هذه «الأغنية» زاد يقيننا بأن هذا الشاعر الذي يمثل إدانة ضد واقع لا يكف عن الانحدار، هذا شاعر يؤكد زهده في هكذا واقع، متنكراً لمواهب الخضوع فيه. متشبثاً برفاق لا يخذلون القلب يضع رأسه على نار هادئة تنضج الوقت، لا يتنازل عن عذابه إذا كان الفقر بديلاً له. الصعاليك لا تعرف اليأس، تبتكر الأسلحة ولا تكترث بالقبيلة تهتاج بشمس تأتي من القصيدة، هكذا :

«انتبهت لنور الصباح الجديد
فتحت ذراعي للفجر قلت : هلا به».

بصمة إنتاجي

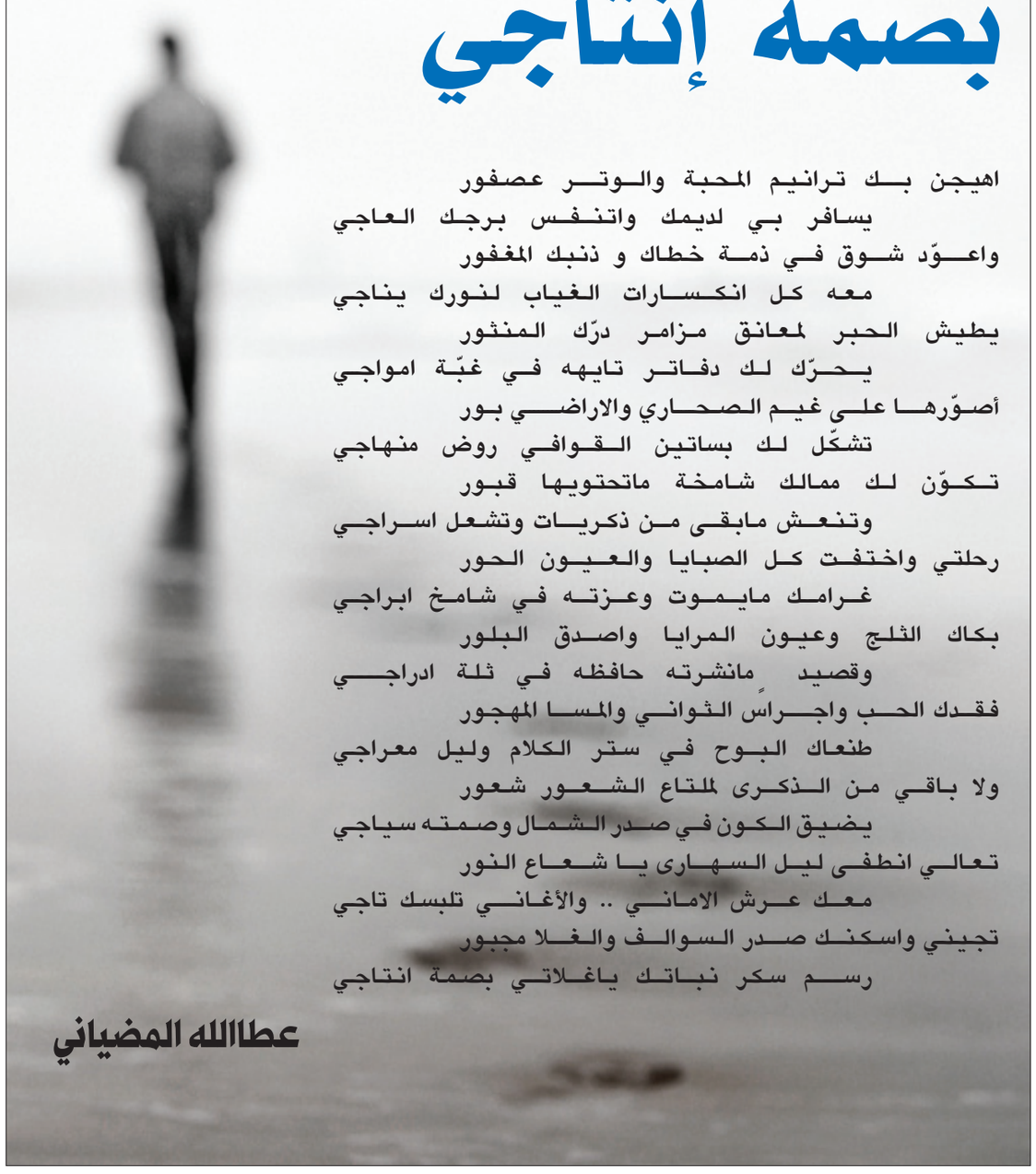

اهيجن بك ترانيم المحبة والوتر عصفور
يسافر بي لديمك واتنفس برجك العاجي
واعوّد شوق في ذمة خطاك و ذنبك المغفور
معه كل انكسارات الغياب لنورك يناجي
يطيش الحبر لمعانق مزامر درّك المنثور
يحرّك لك دفاتر تايهه في غبّة امواجي
أصوّرها على غيم الصحاري والاراضي بور
تشكّل لك بساتين القوافي روض منهاجي
تكوّن لك ممالك شامخة ماتحتويها قبور
وتنعش مابقى من ذكريات وتشعل اسراجي
رحلتي واختفت كل الصبايا والعيون الحور
غرامك مايموت وعزته في شامخ ابراجي
بكاك الثلج وعيون المرايا واصدق البلور
وقصيد مانشرته حافظه في ثلة ادراجي
فقدك الحب واجراس الثواني والمسا المهجور
طنعاك البوح في ستر الكلام وليل معراجي
ولا باقي من الذكرى لمتاع الشعور شعور
يضيق الكون في صدر الشمال وصمته سياجي
تعالي انطفى ليل السهارى يا شعاع النور
معك عرش الاماني .. والأغاني تلبسك تاجي
تجيني واسكنك صدر السوالف والغلا مجبور
رسم سكر نباتك ياغلاتي بصمة انتاجي

عطاالله المضياني

قهوة السابعة مع غازي العكشان

صالح النعاشي
alnaashi@

لست هنا بصدد تقديم ورقة نقدية عن شعر او شاعر لكني اجد نفسي بحاجة الى الجلوس في ركن هادي وتناول القهوة بعيداً عن صخب الساحة وقصائد الهجاء وازعاج المديح المبالغ فيه وزحمة الصور البلاغية التي تحول النص الى تمثال من زجاج ملون يمنع النظر لكنك تخاف الاقتراب منه « نقداً » خشية كسره .

اريد فقط ان اقضي وقتاً اكون فيه اقرب الى ذاتي الى شعر يأخذني الى الصدق والصراحة والتعبير عن الاحتياج دون مراعاة الكبرياء الخادع ولا الفحولة المغربة التي تحول الحاجة الى مكابرة والصدق الى تزييف والصراحة الى صور مركبة تختفي تحتها الحقيقة وتغيب تحت قناعها شخصية الانسان الذي لا يقاوم الغياب ولا يستطيع العيش وحيداً دون آخر يشعره بقيمة الحياة .

اخترت ان اشارك او يشاركني القهوة الشاعر الجميل غازي العكشان الذي ترتبط كل الصفات التي ابحث عنها في هذا الوقت مع قصائده كما ترتبط القهوة في ذهني بقهوة الساعة السابعة التي اعتاد متابعيه في تويتر مشاركته فيها دائماً حتى ارتبطت به وارتبط بها ولا شيء اجمل من ان يربط الجمهور بينك وبين لحظة جميلة ونكهة مستطابة .

غازي العكشان يعرفه المتابع جيداً ومن لم يعرفه فهو بلا شك يعرف بيته الشهير :

حتى انت يا بحر ما تقدر على همي
اعطيك همي وترميه على الشاطي

وهذا البيت يمثل لنا مدخل جيد نحو ما نبحث عنه من شعر يعتمد على المباشرة والصورة الذهنية الاولى دون الدخول الى الصور البلاغية العميقة هذا البيت ميزته في انه حول الصورة البصرية التي شاهدها الشاعر الى صورة بلاغية مذهلة دون تكلف او رغبة في دراسة نفسية البحر كما فعل الكثير من الشعراء فكانت الصورة ببساطة :

انا وقفت امامك ايها البحر لارمي بهمومي فيك لكن حركة الامواج « الطبيعية » تعيد تلك الهموم وترميها الى الشاطيء .

غازي في الحب لا يتردد – كعادته – في ان يكون صريحاً مباشراً لا يذهب الى الصور البلاغية لتعبر عما يريد ان يقول وحينما يأتيه السؤال المغلف بكيد الحسان : ونقول حبيتني من شان قيمة هلي

والا عشاني كذا .. حلوة وعذبة لما

فجوابه يكون صريحاً مباشراً عذباً نديا كما تحب الانثى ان تسمع وكما يجب ان يقال :

مدامه مقسم الارزاق كاتبك لي
عن غيرك العين عميانه وقلبي عما
يكفيك يا قبلة الدنيا واذا تسألي
القلب معلنلك البيعة ولا وانتما
وانا يكفيني انك يا خلايف هلي
الى حضرتي يصيرن العذارى دما

والمرأة بطبعها تحب الجواب الذي يرضي غرورها ويمنحها اجابة صريحة لكن لا تخلو من العبارات التي تمنحها الخصوصية والتميز وشاعرنا دائما ما يجيد اللعب على هذا الوتر في جميع قصائده الغزلية .

غازي يتحدث عن نفسه قبل اللقاء وكأنه يصف نفسه قبل كتابة النص الشعري فيقول :

على شفاهي نبت بعض الكلام ولا عرفت احكيه
وانا اللي كنت أموسق هالحكي ويذوب بشفاهي

ومن هنا تكون قصيدته صريحة مباشرة حتى اصبحت ميزة وهوية لتجربة شاعر يمنح القارئ ابياتاً يرددها في حالات الحب والشوق والاحتياج .

غازي لا يتردد في تصوير لقاء بائه كان لقاء بارد رغم ان هذا الامر يعد صادم لكنه يعرف كيف تكون الكلمة المباشرة والصريحة جذابة وفاتنة وموسيقية :

كان اللقا بارد
والدنيا عز الصيف
وكان العقل شارد
وكل المشاعر زيف
ادري الغلط وارد
معقولة كنتي طيف ؟

غازي العكشان يخاطب المفارق خطاب واضح شفاف مؤثر يبدأه بسؤال في صيغة عتاب فيكون شفافاً في تحديد هوية السؤال :

وانا مثلك بعد عندي سؤال وكلمتين عتاب
نسيت انك تحلف لي .. تموت وما تخليني!!
عطيتك ثم عطيتك ثم عطيتك والعطا وش جاب
حصيلي منك طعنات الغياب وشرهة سنيني

لكنه لا يأخذ حتى يعود الى صراحته وصدقه واعلان الاحتياج

حبيبي آه ماكبر وحشتك يا سيد الاحباب
ترى كل الدروب اللي تجيبك ضامية فيني
بقى من ريحتك شي بثوبي وسط هالدولاب
وانا مَن كثر ما فكيت بيبانه تواسيني

وليختم قصيدته بطلب مباشر يرمي خلفه كل كبرياء الرجل وعنترية الشاعر ويتحدث بصدق العاشق واحتياج المحب

حبيبي عاد حلفتك بربك كل هذا غياب
اجل وراك ما ترجع واحطك من ورا عيني

سأكتفي بهذا القدر لاني انتهيت للتو من قهوة السابعة لهذا اليوم كانت لذيذة شهية منعشة شكراً غازي العكشان وشكراً لكم .